

الاتساق والانسجام

I. الاتساق: (Cohesion)

نصدر في البداية من سؤال محوري مفاده : ما الذي يفرق النص عن مجموعة عشوائية من الجمل ؟ أو ما الذي يجعلنا نقر أن مجموعة من التلطفات تشكل نصا ؟

قد يقدم السياق بعض المؤشرات التي تسهم في تقريب الفهم للقارئ أو السامع، إلا أن المتكلمين والكتاب يقدمون مفاتيح داخلية تبين كيف تتماسك أجزاء النص معا، هذه المفاتيح الداخلية هي الوسائل النحوية والمعجمية التي يستخدمها الكتاب لبيان ترابط الجمل مع بعضها⁽¹⁾. وتتحقق بأدوات الاتساق.

نال الاتساق اللغوي وأقسامه اهتماما كبيرا من لدن علماء النص، ويُعرّف بكونه مجموع الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النص متماسكة بعضها ببعض⁽²⁾. في تحقق الربط من خلال علاقات دلالية أساسية، حيث يعتمد تفسير أحد العناصر في النص على العنصر الآخر، لهذا قد يقع الربط داخل الجملة أو بين الجمل⁽³⁾ وعليه فالاتساق هو ذلك التماسك بين الأجزاء المشكلة لنص ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة للنص، كما يُعنى بالعلاقات النحوية أو المعجمية بين العناصر المختلفة في النص، وهذا يعني أن الاتساق يتعلق بالروابط الشكلية، حيث يسمح لنا التحليل بالوصول إلى تحديد **البنيات الصغرى** التي يتشكل منها النص، إذ يبدو الاتساق ناتجا عن العلاقات الموجودة بين الأشكال النصية، أما المعطيات غير اللسانية (مقامية، تداولية) فلا دخل له فيها إطلاقا.

ركز اللغويون على أدوات الربط بين الجمل محددتين أنواع العلاقات الممكنة في الخطاب المتناسك باعتبارها أساسا لنحو النص، ومن ثم كان البحث في مصادر التماسك مميّزا النص من اللانص، فالنص باعتباره وحدة دلالية ترتبط أجزاؤه بوساطة أدوات ربط مباشرة وتختلف من نص إلى آخر تبعا لنوعية النص واختلاف المؤلفين.

أولا: عناصر الاتساق النحوي:

تتكون عناصر الاتساق النحوي من أدوات الربط التي تشكل شبكة من العلاقات الدلالية من خلال ربط الجمل بعضها ببعض أو الفقرات أو وحدات الخطاب وتساهم في خلق النصية وهي:

1. الإحالة (Référence)

يقصد بها وجود عناصر لغوية لا تكفي بذاتها من حيث التأويل⁽⁴⁾، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتسمى تلك العناصر عناصر مُحيّلة، وهي: الضمائر وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، فهذه

1 - عزة شبل محمد، علم لغة النص، النظرية والتطبيق ص: 99

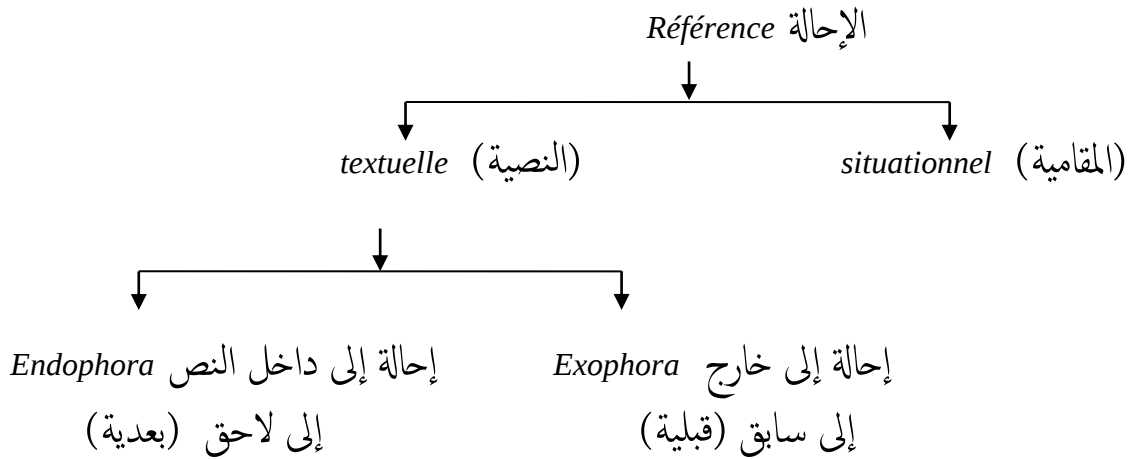
2 - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، المؤسسة العربية للكتاب، تونس، ط1، 2001، ج1، ص: 124.

3 - عزة شبل محمد، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص: 99

4 - حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، ص: 82.

الكلمات ليست لها معنى تام في ذاتها⁽⁵⁾ لذا تعود إلى عناصر مذكورة في أجزاء أخرى من النص، والتأسك عن طريق الإحالة يقع عند استرجاع المعنى في الخطاب، وهو ما يحقق الاقتصاد في اللغة، إذ تختصر الوحدات الإحالية العناصر المحال إليها وتجنّب مستعملها إعادتها، وفي الوقت نفسه تحفظ المحتوى دون الحاجة للتصريح به ومن ثم تتحقق الاستمرارية.

وقد تناول علماء النص الإحالة من حيث هي وسيلة من وسائل الربط اللفظي واشتروطوا وجوب خضوعها إلى قيد دلالي يتمثل في تطابق الخصائص الدلالية للعنصر المحيل والعنصر المحال إليه بصرف النظر عن موقع المحيل إليه سواء أكان سابقاً له أم لاحقاً له. وتنقسم الإحالة إلى إحالة مقامية (خارجية) (Exophora) وفيها يحيل عنصر في النص إلى شيء خارج عن النص ولا يدخل هذا النوع في إطار الاتساق – السبك – وإنما ينظر إليه في إطار سياق الموقف الخاص بالنص، أما الإحالة النصية وهي الإحالة الداخلية (Endophora)، فتتفرع إلى إحالة قبلية (Anaphora) وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر متقدم عليه، وإحالة بعدية (Cataphora) وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر يلحقه وتستخدم لإيضاح شيء مجهول أو مشكوك فيه. وقد وضع الباحثان: هاليداي ورقية حسن رسماً توضيحياً لهذا المبحث⁽⁶⁾:



يمكن أن تكون عناصر الإحالة مقامية أو نصية، إذا كانت نصية فإنها يمكن أن تحيل إلى سابق أو لاحق، أي أن كل العناصر تملك إمكانية الإحالة، والاستعمال وحده هو الذي يحدد نوعها من حيث وجود عنصر مفترض ينبغي أن يستجاب له وكذا وجوب التعرف على الشيء المحال إليه في مكان ما. يذهب الباحثان إلى أن الإحالة المقامية تساهم في خلق النص لكونها تربط اللغة بسياق المقام إلا أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر، بينما تقوم الإحالة النصية بدور فعال في اتساق النص.

أنواع وسائل الاتساق الإحالي:

وسائل الاتساق الإحالية ثلاث: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة⁽⁷⁾.

⁵ - عزة شبل محمد، علم لغة النص، ص: 119.

⁶ - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 17.

⁷ - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 17، 18، 19.

أ. الضمائر (الإحالة الضميرية): تنقسم الضمائر إلى: وجودية (أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن...) وإلى ضمائر ملكية (كثاني، كتابك، كتابه، كتابهم، كتابنا...). إذا نظر إلى الضمائر من زاوية الاتساق أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب وهي إحالة لخارج النص ولا تصبح إحالة لداخل النص أي اتساقية إلا في الكلام المستشهد به، أو في خطابات مكتوبة متنوعة من ضمنها الخطاب السردي، ذلك أن سياق المقام في الخطاب السردي يتضمن سياقاً للإحالة النصية، ومع ذلك لا يخلو النص من إحالة سياقية تستعمل فيها الضمائر المشيرة إلى الكاتب (أنا، نحن) أو إلى القارئ بالضمائر (أنت، أتم) أما الضمائر التي تؤدي دورها في اتساق النص فهي ضمائر الغيبة إفراداً أو تثنية أو جمعاً (هو، هي، هما، هم، هن) وهي خلافاً للأولى تحيل قبلها، إذ تقوم بربط أجزاء النص.

ب. الإحالة الإشارية: يذهب الباحثان إلى أن هناك عدة إمكانيات لتصنيفها: إما بحسب الزمان (الآن، غدا...) والمكان (هنا، هناك) أو حسب الانتقاء (هذا، هؤلاء) أو حسب البعد (ذاك، تلك) و القرب (هذا، هذه).

2. الاستبدال: عنصر من عناصر السبك النحوي، يتحقق بإحلال كلمة محل أخرى دون أن يترتب على ذلك أدنى تغيير في التركيب، وهو ما يجعل الكلمة المستبدلة قسماً للكلمة المستبدلة لا قسماً منها، حيث إن "الكلمة البديلة تكون لها نفس الوظيفة التركيبية"⁽⁸⁾، وعلى هذا الأساس "شاركت الضمائر الأسماء في الاسمية لأنها تُستبدل بها وتقوم بمثل وظائفها"⁽⁹⁾.

يرى هاليداي ورقية حسن أن الاستبدال عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر⁽¹⁰⁾، وهو من ناحية كالأحالة من حيث أدائه وظيفة اتساقية بين مكونات النص، إلا أنه يختلف عنها في كونه علاقة تتم في المستوى النحوي- المعجمي بين الكلمات والعبارات، بينما الإحالة تقع في المستوى الدلالي⁽¹¹⁾، ومن ناحية ثانية هو كالحذف إذ تربط بينهما علاقة التضمنين، فالاستبدال يتضمن الحذف؛ بمعنى أن الحذف يمكن تفسيره باعتباره شكلاً من أشكال الاستبدال، أين يكون أي الحذف "استبدالاً بالصفر"⁽¹²⁾.

للإشارة فإن معظم حالات الاستبدال النصي قبلية أي علاقة بين عنصر متأخر وبين عنصر متقدم، وعليه يعد الاستبدال مصدراً أساسياً من مصادر اتساق النصوص⁽¹³⁾، ومثاله:

- فأسى جد مثلومة يجب أن أقتني [فأساً] أخرى حادة *My axe is too blunt, I must get a sharper one*
- هل تعتقد أن جون يعرف مسبقاً؟ *You think Joan already knows ?*

8 - عزة شبل محمد، علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007 ص: 113.

9 - عادل متاع، نحو النص اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011 ص: 103.

10 - محمد خطاي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 19.

11 - المرجع نفسه، ص: 19.

12 - المرجع نفسه، ص: 21.

13 - المرجع نفسه، ص: 19.

غني عن البيان أن (one) في الجملة الأولى حلت محل (axe)، وفي الجواب عن السؤال الوارد في المثال الثاني حل الفعل (does) محل الفعل (knows).

ينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع :

أ. **استبدال اسمي**: ويتم باستعمال العناصر: "واحد، نفس، ذات" (one, ones, same) فتحل محل الاسم أو العبارة الاسمية، مثل:- هل تحب أن أغير تلك الصورة في حجرتك؟- لا، أحب أن أحتفظ بها نفسها.

ب. **استبدال فعلي**: ويعبر عنه بالفعل البديل / الكنائي (فعل) (do)، حيث يأتي إضمارا لفعل أو لحدث معين أو عبارة فعلية ليحافظ على استمرارية محتوى الفعل .

مثل:- إني أفهمك تمام الفهم يا سيدي وهذا أكثر مما أفعله بنفسي.

- الأطفال يعملون بجدية في الحديقة، يجب أن يفعلوا.

يستخدم الاستبدال الفعلي في المحادثة عنه في الخطاب المكتوب.

ج. **استبدالي قولي/جملي**: وهذا النوع ليس استبدالا لكلمة داخل جملة، ولكن جملة بكاملها، بحيث تقع جملة الاستبدال ثم تقع الكلمة المستبدلة خارج حدود الجملة: مثل الكلمات: "هذا، ذلك" ويقابلها في الانكليزية الكلمات: "so, such" والتعبيرات مثل: "do so, do the same"

مثل:- هل سيكون هناك زلزال؟ هي قالت هذا. - هل رحلت بربرا؟ أنا أعتقد ذلك.

والاستبدال علاقة نصية سابقة حيث يتم الربط من خلال استخدام العنصر المستبدل أولا ثم استخدام العنصر البديل بعد ذلك . مثل : هل لديك كلبسات ورق؟ لا، تريد واحدة منها؟ فكلمة (واحدة) ترجع السامع إلى عنصر سابق في النص من أجل التفسير وهو (كلبسات ورق)⁽¹⁴⁾.

3. الحذف Ellipses:

يجنح المتكلم في الغالب إلى الاقتصاد اللغوي بحذف ما تعارف عليه المتخاطبان من كلام، توفيراً للوقت والجهد ودرءاً للملل الذي يصيب السامع جراء إسهاب المتكلم، بذكره مالا يستدعي الذكر.

فالحذف لغة من: "حَذَفُ الشَّيْءِ إسقاطه...وَحَذَفَ رأسه بالسَّيْفِ إذا ضربه فقطع منه قطعة..."⁽¹⁵⁾، وهو "كعلاقة اتِّساق لا يختلف عن الاستبدال إلّا بكون الأوّل استبدال بالصّفر أي أنّ علاقة الاستبدال تترك أثراً وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثراً"⁽¹⁶⁾، ولا يحلّ محلّ المحذوف أي شيء، ومن ثمّ نجد في الجملة الثانية فراغا بنيويا يهتدي القارئ إلى ملئه اعتماداً على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق إذاً فهو آلية لا يستغني عنها أي مبدع، تكون له فاعليته ما أحسن استغلاله

14- عزة شبل محمد، علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، ص: 113.

15- الرازي (محمد بن أبي بكر عبد القادر)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، (دط)، 1982، ص: 54.

16- محمد خطايي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 21.

وتؤسّل به في المواضع التي تستدعيه، وهو إجراء يسقط من الكلام ما توقّر عليه دليل، وهو حاجة اقتضتها العرف اللغوي العربي نزوعاً إلى الاستخفاف وطلباً للإيجاز، فاستغنت عما لم يكن عمدة في الكلام، أو "مما يصطدم بالذوق العربي الذي يكره توالي الأمثال" (17).

والحذف عند سعد مصلوح: تكرار المبنى مع إسقاط بعض عناصر التعبير (18). وهو عملية يسندھا سيبيوه إلى المتكلم حيث يقول: "واعلم أنهم يحذفون الكلم وإن كان الأصل في الكلام غير ذلك ويحذفون ويعوضون ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطاً" (19).

استجلى قيمة الحذف البلاغية ومسحته الفنية عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) في فصل القول في الحذف إذ يقول: "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجذك انطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين" (20). وهو ما حدا بعلماء اللغة أن يولوه من الاهتمام ما جعله من أجل المباحث في الدراسات النحوية والبلاغية والأسلوبية، فهذا ابن جني يفرد له باباً أسماه "باب في شجاعة العربية" (21)، لأن "الحذف يؤدي إلى ظهور فراغ قاطع للرباط اللغوي الذي يشد لفظة بأخرى شدا ينشأ عنه سياق متواصل محكم البناء يكون البنية التركيبية المألوفة للجملة العربية" (22).

لا تعمل اللغة منعزلة بقدر ما تعمل باعتبارها نصاً في سياقات فعلية للاستخدام، وهناك دائماً ما يرشد السامع في تفسير الجملة أكثر مما تقدمه الجملة نفسها ففي بعض السياقات يمكن حذف كلمة أو عبارة بدلاً من تكرارها، وتسمى هذه الوسيلة بالحذف، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ والتقدير "ورَسُولُهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"، فيظهر الحذف عندما تشتمل عملية فهم النص على إمكانية إدراك الانقطاع على مستوى سطح النص، حيث نفترض عنصراً سابقاً يعد مصدراً للمعلومة المفقودة، فيترك العنصر المحذوف فجوة على مستوى البنية التركيبية يمكن ملؤها من مكان آخر في النص (23). ويمثل لذلك الباحثان (هاليداي ورقية حسن) بما يلي (24)

John is reading a poem, and catherine a story

يقرأ جون قصيدة وكاترين قصة

على أن الحذف في هذا المستوى غير مهم من حيث الانساق، ذلك أن العلاقة بين طرفي الجملة علاقة

17 - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1994، ص: 298.

18 - سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري "دراسة في قصيدة جاهلية"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1991، مج 10، ع: 01، ص: 159.

19 - سيبيوه، الكتاب، ج 1، ص: 24، 25.

20 - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 146.

21 - ينظر الخصائص ج 2، ص: 360 وما بعدها.

22 - بوجمعة جمي، ظاهرة الحذف في شعر البحري دراسة بلاغية إيقاعية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2003، ص: 47.

23 - عزة شبل محمد، علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، ص: 115، 116.

24 - محمد خطاي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 21، 22.

بنوية لا يقوم الحذف بأي دور اتساق، وعليه فالمهم هو البحث عن الدور الاتساق للحذف في العلاقة بين الجمل وليس داخل الجملة الواحدة. وقسم الباحثان الحذف إلى اسمي وفعلي وقولي.

أ. الحذف الاسمي هو حذف اسم داخل المركب الاسمي :

أية قبعة ستلبس؟ - هذه هي الأحسن
Which hat will you wear ? This is the best واضح أن
"القبعة" قد حذفت في الجواب، وهو ما يؤكد أن الحذف الاسمي لا يقع إلا في الأسماء المشتركة.

ب. الحذف الفعلي: يقصد بالحذف الفعلي الحذف داخل المركب الفعلي :

هل كنت تسبح؟ - نعم، فعلت
Have you been swming ? _ Yes, Ihave

والقسم الثالث هو الحذف داخل شبه الجملة:

كم ثمنه؟ - خمسة جنيهات
How much does it cost ? _ Five pounds

يتضح من خلال ما سبق أن للحذف دورا في اتساق النص، وإن كان يختلف عما يؤديه كل من الاتساق والاستبدال والإحالة، ومرد ذلك إلى عدم وجود أثر عن المحذوف فيما يلحق من النص.

4. الوصل: الوصل هو الطريقة التي يتصل ويرتبط بها اللاحق مع السابق بشكل منتظم، وتتمثل وظيفته في تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتتاليات متماسكة، والوصل خلاف الفصل، وصل الشيء بالشيء يصله وصلا وصلة: لأمه، واتصل الشيء بالشيء: لم ينقطع. والوصل في البلاغة الربط بين الجمل أو عطف بعض الجمل على بعض، وكان الجاحظ من الأوائل الذين تكلموا فيه، ووقف عنده أبو هلال العسكري وقفة طويلة وذكر أقوالا كثيرة تدل على أهمية هذا الأسلوب، ويعد عبد القاهر الجرجاني من أشهر الذين بحثوه بحثا مفصلا يقوم على التقسيم والتحديد وقد ربطه بباب العطف وفي هذا المقام يقول: "إنَّ الجمل على ثلاثة أضرب: جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد فلا يكون العطف فيها البتة لشبه العطف فيها لو عطف بعطف الشيء على نفسه... وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلا أنه يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلا أو مفعولا به أو مضافا إليه فيكون حقها العطف..."

5-العطف (Junction)(25)

لما كان النص مجموعة من الجمل المتتابعة أفقيا، وجب أن تكون مترابطة حتى تكون نصا متماسكا، تتنوع التعبيرات العطفية فتتنقسم إلى خمسة أقسام: الوصل، الفصل، الاستدراك، التفرع، الربط الزمني. وتختلف طبيعة العطف بالأداة عن علاقات الربط الأخرى (الإحالة، الحذف)، فهي ليست علاقات إحالية، وهذه العلاقات لا تعتمد على علاقات معجمية صريحة في سطح النص، بل يمكن أن تكون أدوات العطف معلنة أو ضمنية، ويتحقق الترابط في النص حتى ولو لم توجد إشارة صريحة له. ويمكن تقسيم أدوات الربط إلى:

أدوات الوصل: تربط بين الشيئين اللذين لهما الحالة (المكانة) نفسها، فكلاهما صحيح (موجود) في عالم النص. وهي علاقة إضافة سابق إلى لاحق تربط بين صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينها، ومن تلك الأدوات: (و، كذلك، بالإضافة إلى ذلك، بالمثل، فضلا عن ذلك، ناهيك عن...)

أدوات الفصل: وتشير إلى أن أحد المعطوفين يمكن أن يكون صحيحا (موجودا) في عالم النص ف (أو) مثلا تربط بين بديلين كلاهما حاضر في موقع التخزين النشط (الذاكرة الفعالة)، وإن كان واحد فقط هو الذي يقع في عالم النص، ومن تلك الأدوات أيضا: إمّا...أو، إمّا...وإمّا.

أدوات الاستدراك: وتربط بين شيئين لهما المكانة نفسها، ولكنهما يبدوان غير متسقين في النص؛ كأن يكونا سببا ونتيجة غير متوقعة، فالجمع بينها يكون غير محتمل، ومن تلك الأدوات: لكنّ، بيد أنّ، غير أنّ، وإمّا، خلاف ذلك، على العكس، في المقابل.

أدوات التفرع أو الإتياع: وتربط بين عنصرين يعتمد أحدهما على وجود الآخر، وتمثل تلك الأدوات عدة أنواع كالسبب والنتيجة (لا تظهر النجوم نهارا لأن الشمس ساطعة)، ومن تلك الأدوات: (لـ...، لأنّ، لكي، لذلك، من أجل).

أدوات الربط الزمني: يجسد الوصل الزمني علاقة بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنيا، وإذا كان للزمن تقسيمات: ماض، مضارع، مستقبل، فإن هذا التقسيم يعتمد على استخدام المتحدث ووصف النص وفقا للسياق أو تفاعل الأحداث، كما أن إستراتيجية البنى في النص تعكس بعض التأثيرات في نظام ترتيب الأزمنة وحالاتها في النص. والقرب الزمني قد يكون تابعا إذا كانت الحوادث مرتبطاً أحدها بالقياس إلى الأخرى (مثل: فحشر فنادى) أو قد يكون زمان ما متضمنا في زمان آخر (مثل: فقال لصاحبه وهو يحاوره)، وعلاقة القرب الزماني يجب أن تشتمل على سلسلة من الأفعال بينها علاقة من ناحية الزمن: تتابع أو تداخل. وقائمة التعبيرات العطفية المعبرة عن تلك العلاقة كثيرة منها: الفاء، ثم، الواو، بعد، قبل، منذ، كلما، بينما، في حين.

-6-

ثانيا: الاتساق المعجمي:

يراد بالاتساق (السبك) المعجمي العلاقة الجامعة بين كلمتين أو أكثر داخل المتتابعات النصية، وهي علاقة معجمية صرف لا تحتاج إلى عنصر نحوي يظهرها، وعناصر الاتساق المعجمي هي:

1. التكرار (Recurrence) :

شكل من أشكال الاتساق المعجمي، يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما⁽²⁶⁾.

ارتبط التكرار في التراث النحوي بالتوكيد اللفظي الذي هو إعادة اللفظ الأول بعينه وارتبط التوكيد في التراث البلاغي بتقوية المعنى والمبالغة فيه، والتكرار ضرب من ضروب الإحالة إلى سابق بمعنى أن الثاني

²⁶ - محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 24.

منها يحيل إلى الأول، ومن ثم يحدث الانساق بينهما، ويعد من أظهر وسائل الانساق وأدناها إلى الملاحظة المباشرة، وقد عولج في البلاغة العربية بوصفه أصلا من أصول البديع عند ابن رشيق القيرواني وابن أبي الإصبع المصري وغيرهما، لكن يمكن الإشارة إلى أن ثمة مفارقات بين البلاغيين العرب وعلماء اللسانيات النصية في معالجة هذه الظاهرة، حيث نجد البلاغيين العرب قد عالجوا هذه الظاهرة من منظور بلاغي صرف، فكان تركيزهم على الكلام الأدبي والشعري خاصة، واهتموا بالقرآن الكريم من حيث إعجازه البلاغي، بينما عولجت هذه الظاهرة عند علماء لسانيات النص من منظور لساني صرف، فشملت النصوص بمختلف أنواعها. ثم إن معالجة البلاغيين العرب لهذه الظاهرة كانت مقتصرة - وبخاصة في مرحلة التقعيد- على الجملة أو البيت بينما تجاوزت معالجة علماء النص هذا المستوى لتشمل الجمل والفقرات المشكلة للنص. وتجدر الإشارة إلى أن التكرار وسيلة تعبيرية وتقنية بالغة القيمة في الأثر اللغوي بخاصة إذا استطاع المبدع التحكم فيه بناءً على حاجة السياق الهندسي والنفسي والخيالي إليه، لأن الاسراف في استخدامه يؤدي إلى خفض الكفاءة الإعلامية للنص⁽²⁷⁾ ومن ثمة فإن العبارة المكررة ينبغي أن تكون من قوة التعبير وجماله ومن الارتباط بغيرها سياقاً ما تصمد به أمام الرتبة المقيّنة، كما أن تكرار التعبير يبقى على المرجع نفسه، وهذا يعني أنه يستمر كي يرسم الوجود نفسه في عالم النص وعندئذ يتدعم ثبات النص بقوة هذا الاستمرار الواضح، ويوظف التكرار أيضاً لتقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص، وذلك بشرط أن يكون للعنصر المكرر نسبة ورود عالية في النص تميزه عن نظرائه.

إن كان للتكرار عيب وهو تقليص الإعلامية، فإن شبكات التكرار تسمح بتحديد الجمل الأساسية والثانوية في النص وتحديد الكلمات المحورية التي يميل الكاتب غالباً إلى تكرارها، وعليه فإن التكرار يحمل طاقة وظيفية مهمة تتمثل في الدعم الدلالي لمفردات محددة في النص⁽²⁸⁾.

2. **الترادف** (Synonyme)⁽²⁹⁾: الترادف وسيلة ربط مشابهة للتكرار، إلا أنه يتميز عنه في نفيه للشعور بالرتابة مع إضافته تنوعاً إلى المحتوى من حيث هو "وجود كلمتين لهما المعنى نفسه تقريباً"⁽³⁰⁾، وقد تناول دي بوجراند ودريسler المفهوم نفسه تحت مسمى: إعادة الصياغة، ويعنيان به تكرار المحتوى ولكن بوساطة تعبيرات مختلفة، علماً أن المسألة لا تقف عند هذا الحد بقدر ما هي خلق واستحضار شيء ما مختلف في عالم النص الذي هو بدوره محاكاة للعالم الفعلي، وعليه فإن إعادة الصياغة هي تشكيل جديد للعالم الفعلي.

3. **المصاحبات اللغوية** / التضام⁽³¹⁾ (Collocations): ويراد بها ورود زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك وهو ارتباط يعتاد أبناء المجموعة اللغوية المتجانسة وقوعه في الكلام

27 - عزة شبل محمد، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص: 105، 106.

28 - حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص: 108.

29 - ينظر: حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص: 109، عزة شبل محمد، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص: 108.

30 - حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص: 109.

31 - ينظر: حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص: 111، عزة شبل محمد، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص: 109.

بحيث يمكن توقع ورود كلمة في النص من خلال ورود كلمة أخرى فيه، وتتميز هذه الظاهرة بعدم حاجتها إلى مرجع سابق أو لاحق كما هو الحال مع عناصر السبك النحوي.

هناك علاقات معجمية كثيرة خاصة بالمصاحبة اللغوية، منها ما هو واضح مثل: التضاد، علاقة الجزء بالكل، علاقة التلازم الذكري... إلا أن بعضها يحتاج إلى مهارة القارئ من خلال خلق سياق تترابط فيه العناصر المعجمية معتمدا على حدسه اللغوي وعلى معرفته بمعاني الكلمات وغير ذلك، ومن أمثلة تلك المصاحبات: المحاولة- النجاح، المرض- الطبيب، النكتة- الضحك، الشمس- القمر... ويمكن رصد العلاقات المعجمية الخاصة بالمصاحبة اللغوية على النحو التالي:

علاقة تضاد: جمع الشيء وضده في الكلام (أبيض ≠ أسود، ليل ≠ نهار)

التدرج التسلسلي: وتخلق هذه العلاقة وحدات كلية داخل النص الواحد تترابط فيما بينها ترابطا منطقيا قائما على وجود أبعاد زمانية تدعم فكرة التعاقب بين الأحداث المتسلسلة.

علاقة الجزء بالكل: من العلاقات التي لا تظهر إلا مع موضوعات خاصة يهدف الكاتب إلى تقديم وصف خاص لمفهوم عام، من خلال ذكر بعض أجزائه المكونة له وصفاتها الملازمة مما يكمل الصورة المقصودة لهذا الشيء العام .

علاقة الجزء بالجزء: إذا كان ذكر الأجزاء في العلاقة الأولى متناسبا مع الرؤية التي يعرض من خلالها الكل، فإن هذا التحديد ينتفي مع هذه العلاقة، إذ يحاول الكاتب ذكر أكبر عدد من الأجزاء بهدف تقديم صورة عامة لما تشكله من كل واحد، ولا يسعى الكاتب في عرض العناصر إلى التركيز على أحدها، بل إنه يعرضه باعتباره جزءا من الأجزاء يقوم بوظيفة محددة تذكر ملازمة له.

علاقة التلازم الذكري: مثل: المرض- الطبيب، النكتة- الضحك. وقد عرض لها القدماء في حديثهم عن "مراعاة النظر" وهي أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه، وهذه العلاقة تعمل في إطار محدد لا يتجاوز حدود الجملة التي تجمع المتلازمين.

ثالثا: **عناصر الاتساق الصوتي** (32):

توقف دي بوجراند أمام مصطلح التنعيم واعتبره من المحاور الصوتية الرئيسة لمبحث الاتساق، إلا أن هذا العنصر لا يتحقق في غير النصوص المنطوقة نظرا لتلك القيمة الوظيفية التي تحققها تلك العناصر من إقناع للمتلقي ووضوح في أداء الرسالة. أما علم العروض فأشار إلى عناصر صوتية أخرى وهي الوزن والقافية. ومن عناصر الاتساق الصوتي ما يلي:

1. **السجع:** يقوم السجع على تلك المماثلة المعقودة بين كلمتين أو أكثر في الوزن والتقنية والتي تنتج "الترصيع"، أما المماثلة في التقنية فقط مع الاختلاف في الوزن فنتج "السجع المطرف".

32 - ينظر: حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص: 112، وما بعدها، عزة شبل محمد، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص: 125 وما بعدها

يصنع السجع مع عناصر أخرى نحوية ومعجمية ودلالية نوعاً من الوحدة داخل النص؛ فالإطار الدلالي أساس للتوازي المدعم بعناصر معجمية ودلالية أخرى كالترادف والتضاد بجانب الحذف، كما أن النهايات المتشابهة التي يخلقها السجع تعطي له الدعم الصوتي الذي يشكل وسيلة قوية للإقناع.

2. **الجناس:** يحدث بـ"استعمال لفظتين يرجعان إلى مادتين مختلفتين... متقاربتين أو متحدتين في الأصوات ومختلفتين في المعنى"⁽³³⁾ ومنه التام والناقص، وهو من الأشكال الصوتية في الخطاب الأدبي، يحدث نوعاً من الموسيقى والإيقاع، يلدّ له السمع وتطرب له النفس ويظهر أثره في وحدة الجرس... وذلك ما يصبغ البيت كله بجرس واحد يجعله سهل النطق حلو السماع وتستسيغه الأذن⁽³⁴⁾ ولا تقف أهميته عند هذا الحد، بل تتعداه إلى إظهار تلك الكلمات المتجانسة بشكل أوضح. وعليه إذا كان السجع يؤلف بين السامع والنص جراء اتحاد تلك الفواصل الموسيقية، فإن الجناس يقوي دلالات الكلمات من خلال شد انتباه السامع إليها جراء ما تتوفر عليه من توافق كلي أو جزئي في أصواتها.

3. **الوزن والقافية:** عنصران صوتيان يسهمان في اكتمال الجانب الصوتي بما يحدثانه من تقارب بين كلمات النص على أساس مبدأ التشابه أو الوحدة الإيقاعية، وليس لهما أساس نحوي أو معجمي. تساهم عناصر الاتساق الصوتي مجمعة في إشعار المتلقي بتماusk النص لحظة أدائه.

4. التوازي (Parallélisme).

يتحقق التوازي بتكرار نفس البنية التركيبية مع ملئها بمحتوى مختلف، فنحن نعيد سلاسل متشابهة ولكن الأحداث فيها متنوعة⁽³⁵⁾، وهو عنصر آخر من عناصر الاتساق المشكلة لبنية القصيدة، يساهم في تماسك الخطاب إضافة إلى أهميته الجمالية، حيث يضيف نوعاً من التناغم بين التراكيب والجمال المشكلة للخطاب، لأنه ببساطة نوع من التكرار ولكنه ينصرف إلى تكرار المباني مع اختلاف العناصر التي يتحقق فيها المبني، وقد أطلق عليه الخطيب القزويني اسم "الموازنة" وعرفها بقوله: "هي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية"، ومثل لها بقوله تعالى: ﴿وَنَمَارُقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَائِي مَبْثُوثَةٌ﴾. يؤدي التوازي دوراً في القصيدة لما يقوم عليه من عناصر أساسية كالتقطيع الصوتي المستفاد (بالتكرار والترصيع والجناس)⁽³⁶⁾، وتوزيع الألفاظ في الجمل (كالإرصاد)⁽³⁷⁾ ورد العجز على الصدر⁽³⁸⁾، وتوظيف المعنى عن طريق التضاد والتقابل بين الألفاظ المفردة والجمل المركبة (كالطباق والمقابلة).

33 - محمد الهادي الطرابلسي، خصائص السلوب في الشوقيات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، منشورات الجامعة التونسية، 1981، ص: 65.

34 - محمود علي عبد المعطي، موسيقا الشعر "النظرية وآفاق التطبيق"، ديوان الشريف الرضي أعوذجا، نادي مكة الثقافي الأدبي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2013، ص: 369-370.

35 - حسام أحمد فرح، نظرية علم النص، ص: 100.

36 - أن يكون تقطيع الأجزاء مسجوعاً أو شبيهاً بالمسجوع كقول الخنساء: هَبَّاطُ أَوْدِيَةِ حَمَالِ أَلْوِيَةِ شَهَادِ أَوْدِيَةِ سِرْحَانِ فَتِيَانِ

37 - ويسمى أيضاً التسهيم وهو أن يكون معنى البيت مقتفياً قافيته، وشاهداً بما دالا عليها

38 - أو التصدير وهو أن يدل أعجاز الكلام على صدره، فيدل بعضه على بعض، ويسهل استخراج قوافي الشعر

وفائدته أن الكاتب قد يدرك أن محتوى تركيب ما غير مقبول لدى القارئ إذا أتى منفصلاً، أما إذا وضعه وسط مجموعة لها التركيب نفسه، ولها قبول دلالي، فإن القارئ يقبله الموازنة أو التوازي من العناصر النحوية المرتبطة بالإطار الموسيقي للسبك، فتكرار التركيب نفسه على مسافات متساوية يخلق إيقاعاً تألفه أذن السامع، وإذا كانت الموازنة إحدى وسائل السبك النحوي فهي لا تختص بشروط الصحة النحوية في الجملة، بل تبحث في كيفية وجود روابط من نوع خاص بين الجمل تتمثل في التشابه التركيبي المدعم بالتماثل الصوتي لنهاياتها.

II. الانسجام (الحبك)

إذا كان الاتساق / السبك مختصاً برصد الاستمرارية المحققة في ظاهر النص حيث الربط الرصفي بين مكونات البنية السطحية، فإن معيار الانسجام / الحبك يختص بالاستمرارية المحققة في عالم النص⁽³⁹⁾، بحيث يحدد الانسجام تلك العلاقات الدلالية التحتية التي تسمح للنص بأن يفهم ويستخدم، وهذه العلاقات الدلالية هي من القوة بحيث تعطي للنص مظهره ووحدته، فوحدة أي نص لا يمكن أن توجد بشكل كاف إلا بمراعاة بناء قاعدته الدلالية، أما وسائل الربط التركيبية فهي تسهل على السامع التعرف على بناء القاعدة الدلالية في النصوص وفهم ذلك البناء، وقد عبر هاليداي ورقية حسن عن أهمية البعد الدلالي بقولهما: "إن النص وحدة دلالية، وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص"⁽⁴⁰⁾.

ويكاد يتفق الباحثون على أن الانسجام في النص هو البنية التحتية لأدوات الربط الظاهرة، وقد أشار فان ديك إلى أن أدوات الربط (Cohesion) تخلق فقط التماسك المحلي، وغير قادرة منفردة على خلق مستوى الخطاب أو المستوى العام للانسجام.

يعني الانسجام بالمفهوم السيكلوجي مجموعة من العلاقات المفهومية يستخدمها القراء والكاتب في تعاملهم مع النص وهو ما يضيفي البعد البراغماتي للانسجام، وهذا ما أكدته بيتي بامبرج (Betty Bamberg) عندما أشار إلى الانسجام يحدده قصد الكاتب ومعرفة الجمهور، ومنه فالانسجام يشترط له أمران: الأول داخل النص (ظاهر) تحمله الأدوات الظاهرة للربط والثاني خارج النص (تداولي، براجماتي).

يبدو أن الانسجام جزء من عملية فهم النص، فالقارئ عندما يعالج النص يبنى تمثيلاً للمعلومات التي يحتويها النص في ذهنه، والمظهر الأساسي لهذا التمثيل المعرفي هو أن يدمج القضايا المفردة التي يحتويها النص في كل أكبر، والانسجام بذلك شيء يقيمه القارئ في عملية القراءة، كما أنه جزء أساسي عند تشكيل الكاتب للنص، فهو ينطلق من موضوع أساسي يتم توسيعه بطرائق شتى اعتماداً على المقصد والحالة، وتساعد في ذلك إجراءات التعبير من حيث هي مرجعيات لسانية.

مظاهر الانسجام (الحبك):

للالانسجام مظهران متمايزان ومترابطان في الآن ذاته، هما:

39 - سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية، فصول، مج: 10، ع: 1، ص: 145.

40 - محمد خطاي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 13.

-المظهر المضموني القضوي⁽⁴¹⁾ أين ترصد القضية الكبرى أو موضوع الخطاب.

-المظهر الهيكلي، ويعالج البناء النصي.

أولاً: المظهر المضموني للانسجام:

يدرس الانسجام، حسب دي بوجراند، ما تتصف به مكونات عالم النص (تشكيكة المفاهيم والعلاقات التي يستند إليها ظاهر النص) من وثيقة صلة بينها، يراد بالمفهوم المحتوى المعرفي (تشكيكة من المعرفة) يسهل استرجاعها ما كانت متسقة في الذهن، أما العلاقات فهي الروابط القائمة بين المفاهيم، وتشكل المفاهيم والعلاقات القاعدة الدلالية للنص وتتكون من عناصر هي: القضية Proposition: كل قضية تتكون من خبر (محمول) ومقولة (موضوع) أو مقولات ترتبط به مثال:

المرشد	رسم	المكان	بالفرشاة
مقولة (1)	خبر	مقولة (2)	مقولة (3)

يدرس ضمن مصطلحات القضايا محتويات الجمل المفردة وكذا روابط هذه الوحدات ودمجها بمركبات قضوية أخرى، تنظم هذه القضايا المستخرجة في شجرة هرمية أو بيان هرمي يطلق عليه أساس النص، وطبقاً لهذه الرؤية توجد قضية واحدة في قمة الهرم وقضايا صغرى في المستويات الدنيا. أخذ مفهوم القضية من مجال الفلسفة والمنطق واستخدم بالمعنى العام في دراسات الخطاب للإشارة إلى الوحدة الأدنى للمعنى.

"تتكون القضية من خبر يعد النواة وموضوع أو أكثر يرتبط بتلك النواة، ويقوم التحليل القضوي للنص على التركيز على العلاقات بين القضايا... حيث يكشف الروابط بين الجمل عن الطريقة التي تدرك بها العلاقات الدلالية التحتية في الخطاب. وعلى هذا فروابط الخطاب قد تكون ضمنية أو ظاهرة في سطح النص تربط بين جمل متجاوزة في النص على نحو متتال أو متداخل بما يمكن معه تمييز نوعين من العلاقات: علاقة الإضافة: تعبر عنها أدوات العطف مثل (الواو/عاطف إضافي، لكن/عاطف مقابل، أو/عاطف فصل)

ب. علاقة السببية: تربط بالتبعية وتشمل سبعة أنماط:

السبب: ويكون خارج مجال الاختيار (الإرادة)، مثل: جون لم يذهب إلى المدرسة إنه كان مريضاً. المبرر (التفسير) ويشير إلى جانب الاختيار (الإرادة) مثل: جون لم يأت معنا، هو يكره الحفلات. الوسيلة: وهي استخدام مقصود لتقيق السبب، مثل: هل تمنع في فتح الباب؟ هذا هو المفتاح. التتابع: وهو نوع من التبعية، مثل: جون مريض، هو لن يذهب إلى المدرسة.

41 - محمد خطاي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 128 وما بعدها.

الغرض: وهو تتابع اختياري، مثل: التعليمات يجب أن تكون بحروف كبيرة، بهذه الطريقة نأمل في تجنب الصعوبات أثناء قراءتها.

الشرط: وهو سبب ضروري أو ممكن لتتابع ممكن، مثل: يمكنك الحصول على وظيفة هذا الصيف، ولكن أولاً يجب أن تجتاز الامتحان.

المسلمة: وهي سبب أو مبرر لأي تتابع متوقع حدوثه، مثل: جون كان غنياً، إلى أن أعطى كل شيء للجمعيات الخيرية. (42)

مما سبق يتضح أن العلاقات بين الجمل ذات طبيعة دلالية تستند إلى معنى الجمل وأدوات الربط التي تخلقها العلاقات الدلالية المساهمة في بناء خطة معقولة يمكن إدراكها، ويتم التركيز على هذه الأدوات باعتبارها أساس النحو التماسك.

ويشير فان ديك إلى أن فهم النصوص لا يقتصر فقط على العلاقات الدلالية وإنما يعتمد أيضاً على العلاقات الإحالية، حيث يفترض وجود علاقات إحالية بين منطوقات اللغة والوحدات في الواقع الخارجي، ومن ثم يفترض أن القضايا ترتبط بوقائع في العالم الخارجي، ويتيح ذلك إعادة بناء الواقع من خلال إمكانية ربط وحدات مجردة في اللغة (كلمات ومقولات وعبارات) بوحدات مجردة في الواقع الخارجي، وذلك من خلال المعاني المفهومية لوحدات اللغة، يطلق على تصور المنطوقات "المفاهيمات" وعلى المحيلات إليها في عالم ما "ماصدقات"، لذلك فمعرفة مستخدمي اللغة بالعالم هامة في وصف عملية تفسير النص، ويضع فان ديك القيد التالي بالنسبة لربط القضايا وهو: "ترتبط قضيتان بعضهما ببعض حين ترتبط معانيهما الإحالية، أي تكون الوقائع التي تحيل إليها القضايا في تفسير ما مرتبطة بعضها ببعض. مثل: الطقس جميل، القمر يدور حول الأرض، فالقضايا المعبر عنها من خلال جمل التتابع لا يمكن أن ترتبط بعضها ببعض لأن الوقائع غير مرتبطة.